

1 الاعتراض على لاهوت المابن :

قد يعترض أحدهم على لاهوت المسيح، ويعزز اعتراضه بقول المسيح: لَأَنْ يَّيْ لَأَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَ نِي الإنجيل بحسب يوحنا 5: 30: أَبِي أَعْظَمُ مِنْ يِ الإنجيل بحسب يوحنا 14: 28. فالإلى هذا المعترض نقول: هذه العبارات، لا تنفي لاهوت المسيح باعتبار نسبه إلى الآب في الثالوث الأقدس. وكل ما هنالك هو أنه كان من مستلزمات المضاء أن يتجسد الأذنوم الثاني لله، لإتمام المشيئة الإلهية بتقديم نفسه كفارة عن البشر. وبعد أن أكمل هذا العمل الإلهي، صعد إلى السماء وجلس في يمين العظم في الماعلي عبرانيين 1: 3 فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيدة، وكل اسم يسلم في هذا الدهر فقط بل في المسمس تقبل أيضا أفسس 1: 21.

ونفهم من التعليم الرسولي أن عمل المضاء استلزم أن يكون المفاذي إنساناً، ليشارك في طبيعة المذين أتى ليفديهم، وأن يكون لها ليكون له سلطان فائق ليغلب الخطية ويحرر كل من يؤمن به من سلطتها. وكل من يدرس الكتاب المقدس يرى طيف هذا المفاذي خلال سطورها، من سفر التكوين إلى آخر سفر الرؤيا. يراه تارة إنساناً مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس ليفتدي المذين تحت الناموس، لنزال المتبنين غلاطية 4: 4-5. ويراه تارة لها، ليكون مركزاً لعبادة مختاربه وموضوعاً لإيمانهم. فالمسيح شخص عجيب أي أنه إله وإنسان معاً. وهذا الشخص العجيب ملأ رؤي الأنبياء خلال الأجيال التي سبقت تجسده. وقد أشار إشعيا النبي إلى تجسده كآية الله العظمى، إذ يقول: وَلَكِنْ يَعْطِيكَ الْمَسِيحُ نَفْسَهُ آيَةً: هَذَا الْمَعْدُودُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ عَمَانُؤِيلُ الَّذِي تَفْسِرُهُ: اللَّهُ مَعَنَا إِشْعِيَاءُ 7: 14، الإنجيل بحسب متى 1: 23. ثم وصفه النبي الكريم بالقول: وَيَدْعُو اسْمَهُ عَجِيْبًا، مَشِيْرًا، إِلَهَا قَدِيْرًا، أَبَا أَبَدِيًّا، رِييس المسلام إشعيا 9: 6.

2 الاعتراض على لاهوت الروح القدس :

يقول بعضهم إن الروح القدس ليس بأذنوم، وإن ما هو قوة الله في إجراء عمله في المكون وفي قلوب البشر. بيد أن نصوص الكتاب المقدس تؤكد أن الروح القدس شخص وليس مجرد قوة إلهية فعالة فينا، لأن القوة المجردة من الأذنومية لا يمكن أن توصف بأنها ذات قداسة، حق وحكمة، ومشية، وأن لها تخاطب وتخطاب.

لقد جاء في الكلام عن معمودية المسيح أن الروح القدس نزل عليه بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً: أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيْبُ، بِكَ سُرِرْتُ الْإِنْجِيلُ بحسب لوقا 3: 22. وهذا يدل على وجود الأقانيم الثلاثة، فالروح القدس نزل من السماء من لدن الآب، الذي تكلم في السماء وعلى المابن الذي كان على الأرض.

ومن هذا القبيل صورة البركة الرسولية 2 كورنثوس 13: 14، ووعده المسيح لتلاميذه بمعز آخر يوحنا 15: 26، والمقول الرسولي إن لنا بالمسيح قدوماً في روح واحد إلى الآب أفسس 2: 18.

وكل من درس الكتاب المقدس، يرى نصوصاً كثيرة تبين بأطل زعم المقاتلين بأن الروح القدس مجرد قوة إلهية. منها: القول الرسولي أنه بالروح الواحد أعطيت الكنيسة مواهب كثيرة، التي من جملتها عمل القوات 1 كورنثوس 12: 11-4. فلو كان الروح القدس مجرد قوة، لكان المعنى أن الروح نفسه هو إحدى هذه المواهب. ومن هذه النصوص أيضاً الآيات الآتية:

وَرَجَعَ يَسُوعُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ الْإِنْجِيلُ بحسب لوقا 4: 14.

مَسَحَهُ اللَّهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ أَعْمَالَ الْمُرْسَلِ 10: 38.

لِتَزْدَادُوا فِي الرَّجَاءِ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ رومية 15: 13.

بِقُوَّةِ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ، بِقُوَّةِ رُوحِ اللَّهِ رومية 15: 19.

بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ 1 كورنثوس 2: 4.

فلو صحَّ زعم المعترضين للزم تفسير هذه الآيات هكذا: فرجع يسوع بقوة القوة لتزدادوا في الرجاء بقوة القوة المقدوسة. ولوجب تفسير البركة الرسولية على هذا النحو: نعمة ربنا يسوع المسيح، وشركة القوة القدوسة معكم إلى الأبد. وهذا لا يقبله العقل السليم.

3 الاعتراض على القول بالأقانيم الثلاثة:

كثيراً ما طُرح عليّ هذا السؤال: ما هو دليلكم على تعدد الأقانيم في ذات الله الواحد؟ والجواب: إن بروز وحدانية الله في الكتاب المقدس، والاعتراف بأن الكون لا يسع آخر نظير الله، لا يمنع بالضرورة كونه في ثلاثة أقانيم، هم واحد في الجوهر.

ونستدل على ذلك من نصوص الكتاب المقدس. فالنص المستعمل اسماً لله في العهد القديم، هو في الغالب إلهوهم في صيغة الجمع وكذلك الاسم المسند إليه، والضمير الذي يعود إليه، وأبرز ما جاء في هذا الخصوص، هو في تثنية 6: 4 حيث يقول: اس م ع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد. فكلما إلهنا وردت هنا في صيغة الجمع، مع أنه كان المقصد منها بيان وحدانية الرب. وهناك آيات أخرى عديدة ورد فيها اسم الجلالة في صيغة الجمع، منها:

نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَمَا نَحْنُ تَكْوِينُ 1: 26.

هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا تَكْوِينُ 3: 22.

هَلْ مَنَّ نَزَلَ وَنَبَلَ بَلْ هُنَاكَ لِسَانُهُمْ تَكْوِينُ 11: 7.

مَنْ أُرْسِلُ، وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِ نَا؟ إِشْعِيَاءَ 6: 8.

يقول البعض أن الله قصد في ذلك تعظيم نفسه نظير عادة الملوك. ولكن ماذا عن التساؤل: من أرسل... من أجلنا؟ وماذا عن قول الله: هوذا الإنسان صار كواحد منّا! إنهما ينفيان هذا القول.

قد يكون سرّ الثالوث فوق إدراكنا، ولكن هذا لا يعني أنه يصحّ رفضه لعدم إمكاننا إدراكه. فإعلانات الهيّة كثيرة إدراكها فوق طاقتنا، نظير كونه تعالى قائماً بنفسه وأزلياً وعلّة العلل، وغير معلول البتة، وموجوداً في كل مكان، في وقت واحد، وهالماً بكل شيء، وبكل ما يحدث، منذ الأزل إلى الأبد، وفي كل وقت.

وقد تقدّم أن القول بالثالوث، وإن كان حقيقة فوق إدراكنا، فإنّه لا يناقض التوحيد. وليس فيه ما يلجئنا إلى رفضه، أو ما يؤول إلى المّحال عقلاً أو إيماناً. لأنّه لا يعني وجود ثلاثة آلهة.

وربّ سائل يقول: هل لتعليم الثالوث من فائدة في الدين المسيحي؟ فالجواب: إن فائدة تعليم الثالوث تظهر في إيضاح تعاليم أخرى مهمة في الأسفار المقدسة، منها:

1 إنّه يرفع شأن اللاهوت، ويوضح كماله. فالتوحيد دون الثالوث يحصر اللاهوت ويجعله خلواً من كلّ موضوع للمحبّة والسعادة، لأننا نرى في مشاورة الأقانيم ومحبة أحدها الآخر، ما يجعل في اللاهوت كل مقتضيات السعادة الأزليّة.

2 إنّ الثالوث وسيلة إعلان الله نفسه للخليقة. فكلّ من الآب والابن والروح القدس إله من جوهر واحد. فالابن يعرف الله كمال المعرفة. ولذلك يقدر أن يعلنه بكماله. والروح القدس من جوهر اللاهوت، ولذلك يقدر أن يعلن اللاهوت لأرواح البشر.

فبواسطة الأقانيم الثلاثة يقترب الله إلى المخلوقات، وبدون هذا الاقتراب يصبح الله بعيداً عنّا، محجوباً عن إدراكنا، منفصلاً عن اختيارنا.

3 إنّ الله في الثالوث أتمّ عمل الفداء بكلّ لوازمه. فالأقنوم الثاني تجسّد، وكفّر عن خطايانا، وشفّع فينا. ورتّب كلّ وسائل التبرير والمصالحة والمخلص. هكذا قال الرسول: إن الله كان في المسيح مصلحاً العالم لنفسه، غيّر حاسب لدهم خطايهم 2كورنثوس 5: 19 وكذا يُقال عن عمل الروح القدس، الأقنوم الثالث. فهو يجدد قلوبنا، وينير عقولنا، ويقدرنا للتقديس اللازم للدخول

إلى حضرة الله.

والواقع أنّه بدون الأقانيم، لا يصحّ أن يكون الله فادياً ومخلّصاً ومقدّساً وقاضياً معاً، على كينيّة تتمّ فيها كلّ لوازم فداء المخاطي من لعنة الشريعة، التي لحقت به من جراء الخطيّة.

4 إنّ المثالوث يقدّم الله كمثال للحياة البشريّة فيما يتعلّق بالمعايشة الحبيّة والميلفة الأهليّة. فنرى حقيقة الأبوة في الأذنوم الأوّل والمبنوة في الأذنوم الثاني. الأمر الذي يرفع شأن النسبتين الأبويّة والمبنويّة بين البشر.

ولو جرّدنا الملاهوت من كلّ شعور بالمحبّة لأصبح الله بالنسبة لنا ذلك السيّد المصارم الجبار، الذي تفصلنا عنه الصرامة والجبروت.